

سطوة الحب

رواية خيالية ملحمية

لمحة عن الرواية

في عالم منقسم بين النور والظلام،
حيث تتصارع الممالك والقوى منذ القدم،
يولد حب لا يُقترَض أن يوجد.
هو أمير الظلال، وريث العرش الملعون،
تحيط به أسرار الماضي، وتستيقظ في عروقة
قوة قادرة على تغيير مصير العالم.
وهي أميرة النور، حامية الحياة والجمال،
مُختارة من الآلهة، يحمل قلبها مفتاح السلام...
إن سطوة الحب وحدها
قادرة على توحيد عالمين متنازعين،
أو هلاكهما إلى الأبد.

الكاتبان

حمزة الحاج بيهي

سطوة الحب

رواية خيالية ملحمية

تأليف : حمزة الحاج بيهي

● الفصل الأول: أرض إيريلوم

في عالم موازٍ لعالمنا، بعيد عن حدود الزمن
كما نعرفه، تمتد أرض واسعة تُدعى إيريلوم،
أرض عجيبة تسبح فيها الجزر الطائرة بين
طبقات من الغيوم الوردية والذهبية، وتتصل
ممالكها ببعضها بجسور من الضوء البلوري
تتغير ألوانها بحسب مزاج من يعبرها. تنمو في
إيريلوم أشجار عمرها آلاف السنين، جذوعها
ضخمة كالأبراج، تحمل في حلقاتها الداخلية
ذاكرة كل من عاش تحت ظلها، وتهمس أوراقها
بالحكايات القديمة كلما هبّت الريح.

تحكم إيريلوم قوة خفية غامضة تُدعى
"السطوة"، طاقة سحرية تسري في دماء
عائلات نبيلة معينة، تمنحهم قدرات خارقة،
لكنها في الوقت نفسه تصنع بينهم أعمق
الصراعات وأشدّها قسوة، فالسطوة لا تُمنح

دون ثمن، وكل قوة تحمل في طياتها إمكانية
الخراب بقدر ما تحمل إمكانية الخير.

في الجزيرة الشمالية، حيث تلفت الضباب حول
قمم الجبال السوداء، ترتفع قلعة آل نوكتارا
الشاهقة، بأبراجها المصنوعة من حجر الظل
الأسود اللامع، عائلة نبيلة تحمل سطوة الظل
والهدوء، قدرة توارثوها منذ أجيال تمكّنهم من
قراءة نوايا الناس، والتنقل بين الظلال كأنهم
جزء منها، وتهدئة أعنف العواصف بمجرد
تركيزهم. لكن سطوة الظل تحمل ثمناً باهظاً:
من يستخدمها كثيراً يفقد شيئاً من دفء مشاعره
تدريجياً، حتى يتحول إلى كائن بارد لا يشعر
بشيء، وهذا ما يخشاه كل فرد في عائلة
نوكتارا أكثر من الموت نفسه.

وفي الجزيرة الجنوبية، حيث تمتد الحقول
الخضراء إلى ما لا نهاية تحت شمس لا تغيب
أبداً، تزدهر حدائق آل إيزيلوم الأسطورية،
بقصورها البيضاء المطعمة بالذهب، عائلة

تحمل سطوة الضياء والحياة، قدرة تمنحهم
القدرة على إحياء النباتات الذابلة، وشفاء
الجروح بلمسة يد، وإشعال الأمل في القلوب
اليائسة. لكن سطوة الضياء أيضاً تحمل ثمنها:
من يستخدمها بإفراط يستنزف طاقته الحيوية،
حتى يذبل هو نفسه كزهرة أُجهدت في العطاء.
منذ ثلاثة قرون بالضبط، انفصلت العائلتان بعد
حرب سحرية مدمرة كادت تمزق أرض إيريلوم
بأكملها، حرب اندلعت حين حاول أحد أجداد آل
نوكتارا، ويدعى الأمير "أورين نوكتارا"، دمج
السطوتين في تعويذة واحدة قوية تمنحه سيطرة
مطلقة على الأرض كلها، فانفلتت الطاقة
الهائلة وأحرقت نصف الجزيرة الجنوبية،
وحوّلت حدائق آل إيزيلوم الغناء إلى رماد دام
سنوات طويلة قبل أن تعود الحياة إليها ببطء
شديد.

منذ ذلك اليوم المشؤوم، اجتمع حكماء الأرض
السبعة في مجلس طارئ، وسنّوا قانوناً صارماً

لا رجعة فيه: يُحظر تماماً اختلاط دماء العائلتين، ويُعاقب كل من يخالف هذا القانون بالنفي الأبدى إلى الجزر المنسية، تلك الجزر التائهة التي لا تظهر على أي خريطة، خشية أن يولد من هذا الاتحاد كائن يحمل قوة الظل والضياء معاً، قوة لا يمكن لأحد أن يتنبأ بمدى خطورتها أو عظمتها.

لكن ما لم يعرفه أحد، هو أن أحد الحكماء السبعة، وهو أكبرهم سناً وأعمقهم حكمة، كتب في مخطوطة سرية أخفاها في أعلى برج الحكماء نبوءة غامضة، نبوءة تقول: "حين يلتقي وريث الظل بوريثة الضياء بقلبين صادقين لا بطمع ولا بقوة، سيولد من اتحادهما الشفاء الذي تنتظره الأرض منذ يوم انكسارها." لكن هذه المخطوطة ظلت مطوية بعيداً عن الأعين، منسية كأنها لم تكن، لثلاثة قرون كاملة.

● الفصل الثاني: حمزة، وريث الظل الصامت

نشأ حمزة في قلعة نوكتارا وسط جدران حجرية باردة، وأروقة طويلة تتردد فيها أصدااء الخطوات لدقائق قبل أن تخفت. كان طفلاً هادئاً منذ صغره، يفضل الجلوس في زوايا القلعة المظلمة يراقب الظلال وهي ترقص على الجدران، بدلاً من اللعب مع أقرانه في الساحة الخارجية. لاحظ والده، لورد "أدريان نوكتارا"، هذا الهدوء المبكر بفخر ممزوج بقلق خفي، فسطوة الظل عند حمزة كانت تتجلى بقوة غير معتادة منذ سنواته الأولى.

في عمر السابعة، فقد حمزة صديقه الوحيد في حادثة غامضة أثناء تدريب على السطوة، حادثة لم يكشف تفاصيلها الكاملة أبداً، لكنها تركت في نفس حمزة الصغير جرحاً عميقاً، وجعلته يوصد قلبه بإحكام، خوفاً من أن يخسر مجدداً من يحب. منذ ذلك اليوم، أصبح حمزة يتقن فن

كتمان مشاعره، حتى ظن الجميع أنه بلا
مشاعر تقريباً، بينما كانت الحقيقة أنه يشعر
بعمق أكبر من أي شخص آخر، لكنه تعلم أن
يخفي هذا العمق خلف جدار من الهدوء الصلب.

كبر حمزة ليصبح شاباً طويل القامة، بعينين
بنيتين تحملان مزيجاً نادراً من السكينة
والغموض، وكأن خلف تلك النظرة الهادئة
عالمًا كاملاً لا يعرفه أحد. كان محارباً بارعاً،
ودارساً نهماً للمخطوطات القديمة، ووريثاً
يُنْتَظَر منه أن يقود عائلته يوماً بحكمة تفوق
حكمة أسلافه. كان من ذلك النوع النادر من
الناس الذي يمرّ بهدوء دون أن يلفت الأنظار
عمداً، لكنه يترك أثراً جميلاً في نفوس من
يلتقيهم، وكأن حضوره وحده كافٍ لتهدئة
أعصف الغرف.

لكن تحت كل هذا الهدوء، كان حمزة يحمل سراً
أثقل من سطوته نفسها: في مكتبة القلعة السرية،
عثر ذات ليلة على جزء ممزق من مخطوطة

قديمة تتحدث عن نبوءة غامضة تخص "حاملاً
من دمه"، نبوءة لم يفهم معناها الكامل، لكنها
زرعت فيه شعوراً دائماً بأن مصيراً مختلفاً
ينتظره، مصيراً سيغيّر كل شيء يعرفه عن
نفسه وعن عائلته.

● الفصل الثالث: حفصة، وريثة الضياء المرح

على النقيض تماماً، نشأت حفصة في قصر
إيزيلوم الأبيض وسط حدائق لا تتوقف عن
الإزهار، وأصوات الطيور التي تحلق بحرية
بين الأشجار المثمرة على مدار العام. كانت
طفلة مرحة منذ يومها الأول، ضحكاتها تملأ
أروقة القصر، وسطوتها تتجلى في كل مكان
تطأه قدمها، فالزهور تتفتح خلفها أينما مشت،
وحتى النباتات الذابلة تستعيد حيويتها بمجرد
اقتربها.

كانت حفصة محبوبة من الجميع، من الخدم إلى
النبل، بسبب طيبة قلبها الفطرية وكرمها الذي
لا حدود له. كانت تقضي ساعات طويلة في
الحديقة الملكية، تتحدث مع الزهور وكأنها
صديقات حقيقيات، وتساعد البستانيين في

زراعة النباتات النادرة، وتتعلم من جدتها
العجوز أسرار سطوة الضياء القديمة.

نشأت حفصة لتصبح فتاة فائقة الجمال، بعينين
بنيتين تشعان بدفء الضياء وحيوية لا تنضب،
وشعر أسود حريري يتحرك كأنه يحمل نبضاً
خاصاً به. كانت ذات روح مرحة تجعل كل من
حولها يشعر بالسعادة، وذات ذوق رفيع يظهر
في كل تفصيلة من حياتها، من طريقة تنسيقها
للزهور في القصر، إلى أسلوبها في الحديث
الذي يجمع بين العفوية والحكمة.

لكن حفصة، رغم كل مرحها الظاهر، كانت
تخفي داخلها إحساساً دائماً بالوحدة. فكونها
وريثة العرش الوحيدة، كان يعني أن كل من
حولها يعاملها بحذر مبالغ فيه، خوفاً من
إغضبائها أو إحراجها، ولم تجد أبداً من يتحدث
معهها كإنسانة عادية، لا كأميرة تحمل مستقبل
مملكة كاملة على كتفها. كانت تشعر أحياناً،

رغم كل الحب المحيط بها، أنها وحيدة في عالم مليء بالناس.

في إحدى الليالي، سمعت حفصة جدتها العجوز تتمتم في نومها بكلمات غريبة عن "الظل الذي سيأتي ليكمل الضياء"، كلمات لم تفهمها وقتها، لكنها ظلت عالقة في ذاكرتها كلغز ينتظر الحل.

● الفصل الرابع: عشبة دمعة القمر

في تلك السنة بالذات، اجتاح مرضٌ غامض لورد أدريان نوكتارا، مرض بدا وكأنه لعنة قديمة تنهش قواه شيئاً فشيئاً، ولم يجد حكماء القلعة أي علاج له سوى أسطورة قديمة عن عشبة نادرة تُدعى "دمعة القمر"، عشبة تنمو مرة واحدة كل مئة عام فقط، تحت ضوء اكتمال قمرين معاً، ويُقال إنها تنمو فقط في الغابة المحايدة الواقعة عند الحدود بين الجزيرتين، تلك الغابة التي لا يجرؤ أحد من الجزيرتين على دخولها منذ الحرب القديمة.

قرر حمزة، رغم خطورة الأمر، أن يذهب بنفسه بحثاً عن العشبة لإنقاذ والده، متسللاً ليلاً بمساعدة سطوته التي تخفيه بين الظلال.

في الوقت نفسه تقريباً، كانت حديقة القصر الملكي في إيزيلوم، الحديقة المقدسة التي تحمل

أقدم الأشجار وأثمن النباتات في المملكة، قد
بدأت تذبل لأول مرة منذ قرون دون سبب
معروف، وكأن مرضاً غريباً أصابها من
الجزور. أخبرت جدة حفصة العجوز حفيدتها أن
العلاج الوحيد قد يكون عشبة دمة القمر أيضاً،
فقررت حفصة، رغم قلق والدها الشديد، أن
تذهب بنفسها بحثاً عنها، مستخدمة سطوتها
لتتير طريقها بين أشجار الغابة الكثيفة.

هكذا وجد القدر طريقة لجمع الاثنين في المكان
نفسه، في تلك الليلة بالذات، تحت ضوء القمرين
المكتملين.

كان حمزة يبحث بهدوء بين الأشجار الضخمة،
حاملاً مصباحاً صغيراً من الظل يضيء له
الطريق دون أن يكشف موقعه، حين سمع
صوت خطوات خفيفة تقترب. توقف فجأة،
مستعداً لأي خطر، لكن ما رآه لم يكن خطراً
على الإطلاق: فتاة تتحرك بين الأشجار وحولها

توهج ذهبي خافت، كأنها جزء من ضوء القمر
نفسه.

اصطدما عند جذع شجرة عملاقة معمرة، بشكل
مفاجئ جعل حفصة تتراجع خطوة للخلف
مذعورة، فتوهجت سطوتاهما فجأة استجابة
لدهشتها، الظل والضياء يتراقصان حول
بعضهما البعض في مشهد ساحر لم يره أحد من
قبل، حتى الغابة نفسها بدت وكأنها تحبس
أنفاسها إجلالاً لهذا المنظر النادر.

"من أنت؟" سألته حفصة بحذر شديد، وضيائها
يتوهج دفاعياً حول يديها استعداداً لأي هجوم
محتمل.

"لا داعي للخوف" أجاب حمزة بهدوئه المعتاد،
رافعاً يديه ليُظهر أنه لا يحمل نية عدائية:
"اسمي حمزة، من آل نوكتارا."

تجمّدت حفصة للحظة، وشعرت بقشعريرة
تسري في جسدها: "أنت من عائلة الأعداء

إذن... العائلة التي حذرتني عائلتي منها منذ طفولتي."

نظر إليها حمزة بفضول غريب لا عداوة فيه على الإطلاق: "وأنت، على ما أظن، من آل إيزيلوم، العائلة التي علّمت أن أخشاها منذ صغري أيضاً... يبدو أننا كلانا ورثنا خوفاً لم نختره."

لم تستطع حفصة كبح ابتسامة صغيرة رغم توترها: "خوف موروث، هذا وصف دقيق تماماً."

خفّ التوتر قليلاً بينهما، وسأل حمزة: "ماذا تفعلين هنا في هذه الساعة المتأخرة، في أرض محرّمة على كلينا؟"

تنهدت حفصة: "أبحث عن عشبة دمعة القمر، لإنقاذ حديقة عائلتي التي بدأت تذبل دون سبب."

اتسعت عينا حمزة دهشة: "هذا بالضبط ما
أبحث عنه أنا أيضاً، لإنقاذ والدي من مرض
غامض."

نظرا إلى بعضهما بذهول، وكأن المصادفة
كانت أكبر من أن تكون مجرد مصادفة عابرة.
قالت حفصة بنبرة فيها تحدٍ مرح خفيف: "إذن،
ماذا لو قررنا، لهذه الليلة فقط، أن نكون استثناءً
لكل ما عُلِّمناه؟ أن نبحث معاً بدلاً من أن نتنافس
على من يجدها أولاً؟"

ابتسم حمزة لأول مرة أمامها، ابتسامة خفيفة
لكنها صادقة: "ربما... الاستثناءات هي أجمل
ما في القصص القديمة."

بينما كانا يتحدثان، وبينما كانت المسافة بينهما
تتقلص دون أن ينتبها لذلك، لمعت بقعة ضوء
فضي صغيرة على الأرض بينهما: عشب دمة
القمر، نبتت بالضبط في النقطة التي التقت فيها
ظلاله بضيائها، وكأن الأرض نفسها اختارت

أن تكافئهما على شجاعتهما في تجاوز الخوف الموروث.

"لم تظهر إلا حين اجتمعت سطوتانا" همست حفصة بدهشة عميقة، وهي تحقق في العشبة المتوهجة.

ركع حمزة بجانبها ليتفحص العشبة عن قرب: "هذا يعني أن أياً منا وحده لم يكن كافياً لإيجادها... احتجنا كلانا معاً."

نظرت إليه حفصة، وشيء ما في عينيها تغير: "أتساءل كم من الأشياء الأخرى في هذا العالم قد تحتاج إلى ظل وضيء معاً لتزدهر."

اقتسما العشبة بحذر شديد، كل منهما أخذ نصفها لعائلته، لكن قبل أن يفترقا عند حافة الغابة، توقف حمزة وسألها بتردد واضح: "هل... هل يمكن أن نلتقي مجدداً؟ فقط لنطمئن على نجاح العلاج."

ابتسمت حفصة بمرح: "أظن أن هذا أقل ما
يمكنني فعله، بعد أن ساعدتني في إيجاد ما كنت
أبحث عنه."

افترقا وكل منهما يحمل في صدره شعوراً جديداً
لم يعرفه من قبل، شعور يشبه بداية شيء
عظيم، رغم كل المخاطر التي تحيط به.

● الفصل الخامس: لقاءات عند الحدود المحرمة

شُفي لورد أدريان نوكتارا من مرضه الغامض
بفضل عشبة دمعة القمر، وعادت حديقة قصر
إيزيلوم لتزدهر من جديد، لكن ما لم يعرفه
الأبوان هو أن العلاج الحقيقي لم يكن في العشبة
وحدها، بل في اللقاء الذي جمع وريثيهما تحت
ضوء القمرين.

عاد حمزة إلى الغابة المحايدة في الليلة التالية،
"لمجرد الاطمئنان" كما أقنع نفسه، رغم أنه كان
يعرف في أعماقه أن الأمر أعمق من ذلك
بكثير. وجد حفصة هناك بالفعل، تنتظر عند
نفس الشجرة، بابتسامة تنير المكان أكثر من
ضوء القمرين معاً.

"عدتِ إذن" قال حمزة وهو يحاول إخفاء
ابتهاجه الواضح خلف هدوئه المعتاد، لكن نبرة
صوته خائنه قليلاً.

"وأنت انتظرتني، رغم أنك تدّعي دائماً أنك لا
تنتظر أحداً" ردّت حفصة بابتسامة مأكرة، وهي
تجلس على جذع شجرة ساقطة.

جلس حمزة بجانبها، على مسافة محترمة في
البداية، لكنها تقلصت تدريجياً مع مرور الوقت
وتدفق الحديث بينهما بسلاسة غير متوقعة.
تحدثا عن كل شيء وعن لا شيء في آن واحد،
عن كتبهما المفضلة، فحمزة كان يعشق
المخطوطات التاريخية القديمة، بينما كانت
حفصة مفتونة بأساطير الحب والمغامرة. تحدثا
عن أحلامهما، فحمزة كان يحلم يوماً بأن يقود
عائلته بحكمة تتجاوز الخوف الذي شكّل
تاريخها، بينما كانت حفصة تحلم بأن تجعل
مملكتها مكاناً يستقبل الغرباء لا يخافهم. وتحدثا

أيضاً عن خوفهما المشترك من مستقبل مرسوم
لهما مسبقاً دون أن يكون لهما رأي حقيقي فيه.
قالت حفصة وهي تراقب النجوم الأولى تظهر
في السماء المظلمة تدريجياً: "أتعرف؟ في
عائلتي، يُقال إن الضياء لا يكتمل أبداً إلا حين
يجد ظلاً يحتضنه برفق، لا ظلاً يحاربه بعنف."
نظر إليها حمزة طويلاً، متأملاً هذه الكلمات:
"وفي عائلتي، يُقال إن الظل بلا ضياء يبقى
أعمى، مهما بدا هادئاً وحكيماً من الخارج، فهو
يفتقد إلى ما يمنحه معنى حقيقياً."
اقتربت منه حفصة قليلاً، بلا خجل واضح:
"ربما نحن لسنا الاستثناء الذي تحدثنا عنه
بالأمس إذن... ربما نحن التصحيح لخطأ قديم
ارتكبته عائلتنا منذ قرون."

لمس حمزة يدها بلطف شديد، متردداً في
البداية، فأضاءت هالة ذهبية خفيفة حول
أصابعهما المتشابكة، أخف بكثير من التوهج

الذي حدث عند اكتشافهما للعشبة، لكنها كانت واضحة بما يكفي ليشعر بها كلاهما.

قال حمزة بصوت مرتجف قليلاً من التأثير: "لم أشعر بهذا الدفء من قبل يا حفصة... ظللت سنوات طويلة أظن أن الظل قدري الوحيد، وأنني محكوم عليّ أن أعيش حياتي هادئاً بارداً كصخرة عتيقة."

همست حفصة، والدموع تكاد تلمع في عينيها من فرط التأثير: "ربما القدر لم يكن يقصد أن تبقى وحيداً في ظلك يا حمزة، بل أن تجد من يدخل إليه بلا خوف، ويجلس معك فيه حتى يصبح دافئاً."

جلسا هكذا لساعات، لا يتحدثان أحياناً، فقط يستمتعان بصمت مشترك ملؤه الراحة، ذلك النوع من الصمت الذي لا يحتاج إلى كلمات ليكون كاملاً.

• ال

● فصل السادس: صديقة الأسرار

بدأت اللقاءات السرية تتكرر، مرة كل أسبوع في البداية، ثم مرتين، ثم كل ثلاثة أيام، حتى أصبحت جزءاً أساسياً من حياة كل منهما لا يستطيعان الاستغناء عنه. لكن حفصة لم تستطع أن تحمل هذا السر وحدها لفترة طويلة، فأفصحت عنه لصديقتها المقربة "ليان"، وصيفة القصر التي عرفتھا منذ الطفولة وتثق بها ثقة عمياء.

جلست حفصة مع ليان في غرفتها ذات مساء، وأخبرتها بكل شيء بصوت خافت خشية أن يسمعها أحد.

"أنتِ تدركين المخاطرة التي تخوضينها، أليس كذلك؟" سألتها ليان بقلق واضح: "إن عرف والدك، لن يكتفي بمنعك من رؤيته، قد يشعل حرباً كاملة."

أجابت حفصة بصدق: "أعرف، لكن يا ليان، لم أشعر من قبل بما أشعر به معه. إنه ليس مجرد وريث لعائلة معادية، إنه إنسان يفهمني بعمق لم يفهمه أحد من قبل."

ابتسمت ليان رغم قلقها، متأثرة بصدق مشاعر صديقتها: "إذن سأساعدك على حماية هذا السر، ما دمت متأكدة من قلبك."

في المقابل، لم يكن حمزة أفضل حالاً في كتمان سره، فقد لاحظ صديقه المقرب "كايل"، حارس القلعة الشاب الذي نشأ معه منذ الصغر، تغيراً واضحاً في سلوك حمزة، ابتسامات متكررة لم يعتدها منه، وغيابات متكررة في ساعات الليل.

واجهه كايل ذات يوم بصراحة: "حمزة، أنت تخفي عني شيئاً، ووجهك يشي بأنه أمر كبير." بعد تردد طويل، قرر حمزة أن يثق بصديقه، وأخبره بكل شيء عن حفصة وعن اللقاءات السرية.

صُدم كايـل في البداية، لكنه سرعان ما تعاطف مع صديقه: "أنت تعرف أنني سأدعمك، لكن كن حذراً للغاية يا حمزة، فالقانون القديم لا يرحم من يخالفه."

● الفصل السابع: نمو سطوة الحب

مع مرور الأسابيع، تعمقت العلاقة بين حمزة وحفصة أكثر فأكثر، واكتشفا أن سطوتيهما حين تجتمعان لا تتصارعان كما ظن الجميع لقرون طويلة، بل تتكاملان بشكل مذهل: ظلّه يهدئ فورانها المرح الجامح ليتحول إلى حكمة عميقة، وضياؤها يذيب برود عزلته ليكشف عن قلب دافئ لطالما أخفاه خلف جدار سميك من الحذر.

في إحدى الأمسيات، جلسا على صخرة مرتفعة تطل على الجزر الطائرة المضيئة في الأفق البعيد، والنجوم تتناثر فوقهما كأنها دُرّت بيد فنان ماهر. كانت نباتات صغيرة تتفتح حول حفصة تلقائياً بفعل سطوتها اللاإرادية كلما شعرت بالسعادة العميقة، ظاهرة لاحظها حمزة وأحبها كثيراً.

قالت حفصة وهي تتأمل المنظر: "أشعر أنني
أستطيع أن أكون نفسي الحقيقية حين أكون معك
يا حمزة، بلا أقنعة، بلا حسابات، بلا خوف من
أن أقول شيئاً خاطئاً."

ابتسم حمزة ابتسامة هادئة، وظلال خفيفة
ترقص حول أطراف أصابعه بانسجام تام مع
مشاعره الداخلية: "وأنا لأول مرة في حياتي لا
أشعر أن غموضي عبء يجب أن أخفيه أو
أعتذر عنه، بل جزء مقبول تماماً مني، بل
ومحبوب."

اقتربت منه أكثر، ووضعت رأسها على كتفه
بثقة عفوية: "لو خُيرت بين كل كنوز الجزيرتين
مجتمعتين وبين لحظة هدوء بسيطة معك هكذا،
سأختار هذه اللحظة دائماً وبلا تردد."

همس وهو يلامس شعرها الأسود الحريري
برفق شديد، كأنه يخشى أن يكسر هذه اللحظة
الهشة الجميلة: "أخاف أحياناً أن أقول لك ما
أشعر به بكل صراحة، لأن الكلمات تبدو

صغيرة جداً وضئيلة أمام حجم ما يعتمل بداخلي تجاهك.

رفعت وجهها إليه ونظرت في عينيه مباشرة:
"لا تقلها إذن بالكلمات فقط يا حمزة... دعني أراها في عينيك، فالعيون لا تكذب أبداً."

نظر إليها بصدق كامل غير مسبوق، والهالة الذهبية الخفيفة تتوهج بينهما أقوى من أي وقت مضى، منيرة المكان من حولهما بدفء غريب:
"كل ما تحتاجين رؤيته موجود هنا يا حفصة، منذ اللحظة الأولى التي اصطدمننا فيها عند تلك الشجرة."

قالت بابتسامة مرتجفة من فرط التأثر، ودمعة صغيرة تكاد تنزل من عينها: "إذن أنا أيضاً أريدك أن ترى ما بداخلي بوضوح تام... رجل الظل الذي علّم الضياء أن يهدأ أحياناً، وأن يدرك أن السكون ليس فراغاً كما ظننت دائماً، بل عمق حقيقي يستحق أن يُعاش."

جلسا هكذا حتى بزوغ الفجر الأول، غير أبهين
بالوقت، غارقين في عالم صغير خاص بهما،
عالم لا مكان فيه للعداوة القديمة أو الخوف
الموروث.

● الفصل الثامن: ظلال الشك

لكن السعادة نادراً ما تدوم بلا اختبار. بدأ حراس الحدود، المكلفون بمراقبة الغابة المحايدة بشكل دوري، يلاحظون توهجات غريبة متكررة عند نقطة معينة قرب الشجرة العملاقة، توهجات لم يستطيعوا تفسيرها في البداية، لكنها أثارت قلقهم الشديد.

في الوقت نفسه، بدأت أمور غريبة تحدث في الجزيرتين، أمور بدت في البداية عابرة لكنها كانت في الحقيقة إنذارات مبكرة: نباتات صغيرة في أطراف الجزيرة الجنوبية بدأت تذبل ليلاً وتزدهر نهاراً بشكل غير طبيعي، وظلال في الجزيرة الشمالية أصبحت تتحرك بشكل مستقل عن مصادرها، كأن هناك قوة خفية تحاول الاستيقاظ من سباتها الطويل.

لاحظت جدة حفصة العجوز، بحكمتها العميقة
وخبرتها الطويلة في شؤون السطوة، هذه
التغيرات الغريبة، واستدعت حفصة إلى غرفتها
الخاصة ذات مساء.

"حفصة يا صغيرتي" قالت الجدة بنبرة جادة
غير معتادة منها: "أشعر بشيء يتغير في توازن
الأرض، شيء يشبه ما حدث قبل الحرب
القديمة بالضبط. هل تعرفين شيئاً عن هذا؟"
ترددت حفصة طويلاً، ممزقة بين رغبتها في
الصدق مع جدتها التي تحبها وتتق بها، وبين
خوفها من كشف سرها الثمين قبل الأوان:
"جدتي... أنا..."

لكن قبل أن تكمل، ابتسمت الجدة ابتسامة
عارفة، وكأنها كانت تنتظر هذه اللحظة منذ
زمن طويل: "لا تقلقي يا صغيرتي، لن أخبر
أحداً حتى تكوني مستعدة أنت لذلك. لكن دعيني
أخبرك بشيء: جدتي، أي جدتك الكبرى، كانت
تروي لي دائماً حكاية عن نبوءة قديمة، نبوءة

تحدث عن ظل وضياء يلتقيان لا بالحرب، بل
بالحب الصادق."

اتسعت عينا حفصة دهشة: "نبوءة؟ عن ماذا
بالضبط؟"

هزت الجدة رأسها بأسى: "لا أذكر التفاصيل
الكاملة، فقد كانت مخطوطة قديمة أُخفيت في
برج الحكماء منذ زمن بعيد جداً. لكن إن كان
حدسي صحيحاً يا حفصة، فأنتِ وذلك الشاب
الذي أشعر بأثره في عينيك كلما ذكرته بشكل
غير مباشر، قد تكونان جزءاً من شيء أكبر
بكثير مما تتخيلان."

● الفصل التاسع: استيقاظ اللعنة

في إحدى الليالي، أثناء لقاء عادي بين حمزة وحفصة عند الشجرة العملاقة، تلامست أيديهما بشكل أعمق من المعتاد، معبرة عن مشاعر متزايدة القوة بينهما، فانفجرت الهالة الذهبية بينهما بقوة غير مسبوقة، أضاءت جزءاً كبيراً من الغابة لثوانٍ معدودة قبل أن تخفت.

للأسف، كان أحد حراس الحدود يمر بالقرب من المكان في تلك اللحظة بالذات، ورأى التوهج بأم عينه. أسرع فوراً إلى قائد الحراس، الذي بدوره أبلغ كبار العائلتين دون تردد، مدركاً خطورة الأمر.

اشتعل الغضب في القلعتين معاً بشكل متزامن تقريباً. استدعى لورد أدريان نوكتارا ابنه فوراً إلى قاعة العرش الخاصة، وواجهه بصرامة لم يعهدها حمزة من والده من قبل: "هل تدرك ما

فعلت يا بني؟ اجتماع الظل والضياء بهذا الشكل
قد يوقظ اللعنة القديمة نفسها التي دمّرت نصف
أرضنا قبل ثلاثة قرون كاملة!"

حاول حمزة أن يشرح، بصوت هادئ لكنه
مصمم: "أبي، ما بيننا ليس طمعاً بالقوة كما فعل
جدنا القديم، إنه حب صادق، وأنا أوّمن أنه ليس
خطأً."

لكن والده لم يكن مستعداً للاستماع، غارقاً في
خوفه القديم المتوارث: "الحب الصادق أو غير
الصادق لا يهم يا حمزة، القانون واضح،
والعواقب أخطر من أن نجازف بها!"

وفي المقابل، في قصر إيزيلوم، حدّر لورد
"إدوارد إيزيلوم" ابنته بقلق ممزوج بخوف
حقيقي عميق: "ابنتي، أنتِ لا تلعبين بمشاعرك
فقط، بل بمصير إيريلوم كلها. اللعنة القديمة لا
تزال كامنة في أعماق هذه الأرض، تنتظر
فرصة صغيرة لتعود بكل قوتها المدمرة."

حاولت حفصة أن تدافع عن مشاعرها بشجاعة:
"أبي، ألم يخطر ببالك يوماً أن ما نشعر به أنا
وحمزة قد يكون هو الحل، لا المشكلة؟"

لكن خوف والدها كان أعمق من أن يسمح له
بالتفكير بهذا الاحتمال: "لن أجازف بمملكتنا
كلها بناءً على أمل غامض يا حفصة!"

وبالفعل، بدأت علامات مقلقة أكثر تظهر في
الأرض تباعاً: عواصف ظلامية غريبة تجتاح
الجزيرة الشمالية كل ليلة، تحمل معها همساً
غامضاً يشبه صوت أورين نوكتارا القديم،
وذبول غامض يصيب أجمل حدائق الجزيرة
الجنوبية كل نهار، وكأن قوة قديمة استيقظت
من سباتها الطويل بفعل اقتراب حمزة وحفصة
من بعضهما البعض.

منع الأبوان اللقاءات نهائياً، ووضعوا حراساً
مشددين عند كل نقاط الحدود، وبدأ الطرفان
يستعدان بشكل جدي لصراع جديد قد يكون
أعنف بكثير من الحرب القديمة نفسها، كل

عائلة تتهم الأخرى بأن أبناءها هم من أيقظوا
اللعنة عمداً لتحقيق مكاسب خفية.

في آخر لقاء لهما قبل الحظر الكامل، وقفوا عند
الحدود، والحراس يقتربون منهما بسرعة من
كل الاتجاهات.

قالت حفصة بصوت يرتجف من الخوف
والحزن معاً: "إن فرّقونا الآن يا حمزة، أعدك
أنني لن أتوقف أبداً عن البحث عن طريقة
للعودة إليك، مهما استغرق ذلك من وقت."

أمسك حمزة وجهها بيديه بلطف بالغ، محاولاً
حفظ كل تفصيلة من ملامحها في ذاكرته: "ولو
حاول العالم كله أن يفصل بين ظلي وضيائك،
ستبقى النور الوحيد الذي أثق تماماً أنه لن
يخذلني أبداً."

اقترب منها أكثر، والحراس على بعد خطوات
قليلة: "حفصة، مهما طال الفراق، تذكرني دائماً

أن هذه الهالة التي تجمعنا لم تُخلق لتتطفئ بهذه السهولة."

قبل أن يُفرّق بينهما الحراس بالقوة، همست في أذنه بصوت مكسور: "سأنتظرك في كل ظل تختبئ فيه يا حمزة، وستجدني دائماً في كل ضوء تبحث عنه."

سُحبا بعيداً عن بعضهما البعض، كل منهما إلى جزيرته، تحت حراسة مشددة، وقلباهما يتألمان بنفس القدر من الفراق المفاجئ القاسي.

● الفصل العاشر: أسابيع الفراق

مرت الأسابيع التالية ثقيلة كالرصااص على كل من حمزة وحفصة. حُبس حمزة عملياً داخل القلعة، مُنع من مغادرتها إلا برفقة حراس مشددين، وأصبح والده يراقب كل تحركاته بقلق متزايد. غرق حمزة في صمت أعمق من صمته المعتاد، صمت مثقل بالحزن هذه المرة لا بالهدوء الطبيعي، حتى أصدقاءه لاحظوا التغيير الحاد في حاله.

جاءه كايل ذات مساء وجلس بجانبه في غرفته المظلمة: "حمزة، لم أرك هكذا من قبل، حتى بعد وفاة صديقك في الصغر." نظر حمزة إلى صديقه بعينين خاليتين تقريباً من أي بريق: "لأنني هذه المرة فقدت شيئاً كنت قد بدأت للتو أتعلم كيف أملكه يا كايل، الأمل."

في المقابل، لم تكن حال حفصة أفضل بكثير. حاولت في البداية أن تحافظ على مرحها المعتاد أمام الجميع، لكن ابتسامتها فقدت بريقها الحقيقي، وحتى الزهور من حولها بدت أقل إشراقاً من المعتاد، وكأنها تتأثر بحزنها الداخلي العميق.

جلست ليان بجانبها ذات يوم، تحاول مواساتها: "حفصة، ربما يجب أن تعطي الأمر بعض الوقت، ربما يهدأ الوضع تدريجياً."

هزت حفصة رأسها بحزم رغم دموعها: "لا يا ليان، لن أنتظر فقط حتى يهدأ الوضع من تلقاء نفسه. يجب أن أفعل شيئاً، يجب أن أجد طريقة."

في تلك الأثناء، ازدادت العلامات المقلقة سوءاً في الأرض. بدأت العواصف الظلامية تمتد لتصل إلى أطراف الجزيرة الجنوبية، وبدأ الذبول الغامض يظهر في

أطراف الجزيرة الشمالية أيضاً، وكان
اللعنة القديمة، التي أوقظت جزئياً، بدأت
تتوسع بغض النظر عن قرار الفراق الذي
فرضته العائلتان، وكأنها تعاقب الأرض
على منع الحل الحقيقي الذي كانت تنتظره.

● الفصل الحادي عشر: رسالة سرية

قررت حفصة أخيراً أن تخاطر بكل شيء.
كتبت رسالة سرية لحمزة، مستخدمة طائراً
صغيراً مدرباً من طيور الحديقة الملكية،
طائراً موثقاً اعتادت أن تستخدمه للتواصل
مع أصدقائها البعيدين منذ الطفولة.
في الرسالة كتبت: "حمزة، لا أستطيع أن
أستسلم لهذا الفراق. اكتشفت من جدتي
وجود نبوءة قديمة مخفية في برج الحكماء
قد تفسر كل ما يحدث لنا. يجب أن نصل
إلى هناك ونكشف الحقيقة الكاملة. سألتقيك
عند الشجرة العملاقة بعد ثلاث ليالٍ، عند
منتصف الليل بالضبط. أثق أنك ستجد
طريقة للوصول، كما وثقت بك دائماً.
بانتظارك، حفصة."
وصلت الرسالة إلى حمزة بأعجوبة، متجنبة
أعين الحراس بمهارة الطائر المدرب.

قرأها حمزة مراراً وتكراراً، وشعر لأول مرة منذ أسابيع بشرارة أمل حقيقية تتوقد في صدره.

قرر أن يخاطر بكل شيء أيضاً. تحدث مع كايل سراً، وطلب مساعدته في التخطيط لهروب دقيق من القلعة.

"أنت تدرك أن هذا قد يعني نفيك الأبدي إن قبض عليك" حذّره كايل بجدية بالغة.

أجاب حمزة بثقة لم يشعر بها منذ أسابيع: "أعرف يا كايل، لكن البقاء هنا بلا حفصة أشبه بنفي أبدي أيضاً، نفي داخلي هذه المرة، وهو أقسى بكثير."

ساعده كايل في النهاية، رغم كل مخاوفه، مؤمناً بصداقتهما العميقة أكثر من إيمانه بالقوانين القديمة الصارمة.

● الفصل الثاني عشر: رحلة إلى برج الحكماء

في الليلة المحددة، تسلل حمزة من القلعة بمساعدة سطوته التي أخفته بين الظلال بمهارة فائقة، متجاوزاً الحراس بصعوبة بالغة لكن بنجاح. وصل إلى الشجرة العملاقة ليجد حفصة تنتظره هناك بالفعل، وقد تسللت هي أيضاً من قصرها بمساعدة سطوتها التي جعلت النباتات المحيطة تتحرك لتخفي مسارها عن الحراس. التقيا بعناق طويل ملؤه الشوق المكبوت لأسابيع طويلة، دون كلمات في البداية، فقط ارتياح عميق لوجود كل منهما بجانب الآخر مجدداً.

"أخبريني عن هذه النبوءة" قال حمزة أخيراً، وهو لا يزال ممسكاً بيدها بإحكام كأنه يخشى أن يفقدها مجدداً.

شرحت حفصة له كل ما أخبرتها به جدتها
عن مخطوطة قديمة مخفية في برج
الحكماء، تتحدث عن نبوءة تخص الظل
والضياء.

قرر الاثنان أن يذهبا إلى برج الحكماء
فوراً، رغم خطورة الرحلة، فهو المكان
الوحيد الذي يحتفظ بسجلات كاملة عن
اللعنة القديمة وعن حقيقة ما حدث قبل ثلاثة
قرون كاملة.

كانت الرحلة محفوفة بالمخاطر منذ اللحظة
الأولى. واجها في طريقهما عبر الأراضي
الوعرة بين الجزيرتين مخلوقات الظلام
الهائمة، أرواحاً تائهة خلّفتها الحرب
القديمة، هائمة بلا هدف واضح لكنها
تجذب بقوة نحو أي طاقة سطوة قوية،
محاولة امتصاصها لتقوية نفسها الباهتة.
في إحدى المواجهات، حاصرت مجموعة
من هذه المخلوقات الاثنين عند ممر ضيق

بين الصخور. تعاوننا معاً بتناغم مذهل لم
يختبراه من قبل بهذه القوة: ظلّه يربك
المخلوقات ويشتتها في اتجاهات عشوائية،
بينما ضياؤها يطهر الأثر المظلم الذي
تتركه خلفها، حتى تمكنا أخيراً من عبور
الممر بسلام، منهكين لكن بلا إصابات
خطيرة.

قالت حفصة وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة:
"لم أكن أتخيل يوماً أنني سأقاتل مخلوقات
ظلامية حقيقية بجانب رجل يحمل سطوة
الظل نفسها."

ابتسم حمزة رغم إرهاقه: "ولا أنا كنت
أتخيل أن الضياء يمكن أن يكون بهذا
الجمال في المعركة أيضاً، لا في السلام
فقط."

بعد رحلة استغرقت يومين كاملين من
المشي المتواصل والمواجهات المتكررة مع
مخاطر متنوعة، وصلاً أخيراً منهكين تماماً

إلى قمة برج الحكماء الشاهق، الذي يقف
منعزلاً في منطقة محايدة بعيدة عن كلتا
الجزيرتين.

● الفصل الثالث عشر: كشف الحقيقة

استقبلتهما عند مدخل البرج الحكيمة العجوز "سيلفانا"، حارسة السجلات القديمة منذ عقود طويلة، امرأة تحمل في عينيها حكمة عصور كاملة. نظرت إليهما طويلاً بتمعن شديد قبل أن تتكلم، وكأنها تتفحص أرواحهما لا مظهرهما الخارجي فقط. "لطالما انتظرت مجيء حاملي الظل والضيء معاً بهذه الطريقة" قالت أخيراً بصوت هادئ يحمل رهبة الزمن: "النبوءة القديمة كانت تتحدث عنكما تحديداً منذ البداية، منذ أن كُتبت على يد أحد الحكماء السبعة الأصليين."

اقتادتهما إلى قاعة داخلية عميقة في قلب البرج، مليئة بالمخطوطات القديمة المرصوفة على رفوف تمتد حتى السقف المرتفع، وأخرجت من بينها مخطوطة

قديمة جداً، محفوظة بعناية فائقة داخل
صندوق زجاجي محمي بتعويذات حماية
قوية.

فتحت الصندوق بحذر شديد وبدأت تقرأ من
المخطوطة، وتشرح لهما الحقيقة الكاملة
التي ظلت مخفية لثلاثة قرون كاملة:
الحرب القديمة لم تتدلع بسبب اختلاط
السطوتين في حد ذاته كما ظن الجميع خطأً
لقرون، بل بسبب طمع الأمير أورين
نوكتارا الشخصي، الذي حاول سرقة سطوة
الضياء بالقوة والخديعة من إحدى أميرات
آل إيزيلوم في ذلك الزمن، ودمجها قسراً
بسطوته الخاصة دون أي رضا حقيقي
منها، طمعاً في السيطرة المطلقة على
الأرض كلها. فانفلتت الطاقة الهائلة عقاباً
كونياً على هذا الطمع الأناني، لا كنتيجة
طبيعية لاجتماع السطوتين.

"أما الاتحاد الحقيقي" أضافت سيلفانا
بابتسامة هادئة عميقة، "النابع من حب
صادق ورضا متبادل كامل بين الطرفين،
فهو تحديداً ما تنبأ به الحكيم القديم كوسيلة
الشفاء الوحيدة الممكنة لجرح الأرض
العميق الذي فتحه ذلك الطمع القديم قبل
ثلاثة قرون."

استمعا بذهول عميق وهما يستوعبان حجم
هذا الكشف الهائل.

قالت حفصة أخيراً، بصوت يحمل مزيجاً
من الغضب والحزن على تاريخ عائلتيهما
المبني على خطأ كامل: "كل هذا الخوف
الذي وُرثناه جيلاً بعد جيل، كل هذا الفراق
والألم، كان يحميننا من شيء لم نكن سببه
أصلاً، بل كان سببه طمع رجل واحد قبل
قرون."

نظر إليها حمزة بامتنان عميق يفوق
الوصف: "ومع ذلك يا حفصة، لو لم يحدث

كل هذا الخوف والفراق عبر القرون، ربما
لم أكن لأدرك مدى قيمتك الحقيقية بهذا
العمق. أحياناً نحتاج أن نخسر الطريق
السهل لنُقَدِّر حقاً من يسير معنا في الطريق
الصعب."

ابتسمت حفصة وسط دموعها، وهي تمسك
يده بقوة: "إذن، لنكمل هذا الطريق الصعب
معاً يا حمزة، حتى النهاية، مهما كلفنا
ذلك."

أخبرتتهما سيلفانا أيضاً أن الهالة الذهبية التي
تظهر عند اتحادهما ليست مجرد رمز
عاطفي، بل هي فعلياً بداية عملية شفاء
حقيقية تسري في نسيج الأرض نفسها، وأن
عليهما إتمام هذا الاتحاد علناً أمام كلتا
العائلتين، برضا كامل من الطرفين، لكي
يكتمل الشفاء الذي طال انتظاره، وتهدأ
اللعنة القديمة إلى الأبد.

● الفصل الرابع عشر: العودة والمواجهة الكبرى

عادا من رحلتها الشاقة إلى برج الحكماء
ليجدا الوضع في الجزيرتين قد تفاقم بشكل
خطير جداً في غيابهما. تحولت العواصف
الظلامية والذبول الغامض إلى أزمة حقيقية
تهدد حياة السكان في كلتا الجزيرتين،
وبدأت العائلتان، مدفوعتين بالخوف واليأس
المتزايد، تحشدان قواتهما استعداداً لحرب
مفتوحة، كل طرف يحمل الآخر مسؤولية
كاملة عن الكارثة القادمة، متناسين تماماً أن
أبناءهما هم الحل لا المشكلة.
وصل حمزة وحفصة إلى الحدود المحرمة،
حيث كان الجيشان يتأهبان للمواجهة على
مسافة قريبة خطيرة من بعضهما البعض،
والتوتر يملأ الأجواء بشكل خانق.

وقفاً معاً بين الجيشين المتأهبين للقتال، غير
أبهين بالمخاطر الشخصية، ورفعاً يديهما
المتشابكتين بثقة كاملة أمام أعين الجميع
المذهولة.

قال حمزة بصوت عالٍ واضح يصل إلى
الجميع: "توقفوا! ما تستعدون له ليس حرباً
ضرورية، بل تكرار لخطأ قديم بُني على
كذبة استمرت ثلاثة قرون كاملة!"
أضافت حفصة بصوت لا يقل قوة
ووضوحاً: "الحقيقة التي اكتشفناها في برج
الحكماء تثبت أن اتحادنا نحن، لا الفراق
بيننا، هو ما سيشفي هذه الأرض من
جرحها العميق!"

في تلك اللحظة بالذات، وبينما كانت أعين
الجميع مسمرة عليهما بين الشك والدهشة،
انفجرت الهالة الذهبية بينهما بقوة غير
مسبوقة على الإطلاق، أقوى بكثير من أي
توهج سابق بينهما، أضاءت السماء بأكملها

فوق الجزيرتين معاً، وامتدت كموجة دافئة
هائلة عبر الأرض كلها، تلامس العواصف
الظلامية فتهدئها تدريجياً حتى تتلاشى
تماماً، وتلامس النباتات الذابلة في كلتا
الجزيرتين فتُحييها من جديد بشكل فوري
ومذهل أمام أعين الجميع.

توقف الجيشان المتأهبان في ذهول تام،
أسلحتهم تتدلى من أيديهم المرتخية دهشة،
وهم يشاهدون هذا المشهد الخارق الذي لم
يتخيلوه يوماً.

اقتربت الحكيمة سيلفانا، التي رافقتها في
رحلة العودة، وشرحت الحقيقة كاملة أمام
الجميع بصوت يصل إلى أبعد نقطة في
الحشد المذهول، كاشفة عن الطمع القديم
الذي تسبب في الحرب الأولى، وعن
النبوءة التي أخفيت طويلاً، وعن حقيقة أن
هذا الاتحاد بالذات هو الشفاء المنتظر منذ
قرون.

سقط لورد أدريان نوكتارا ولورد إدوارد
إيزيلوم على ركبتيهما معاً، بشكل شبه
متزامن، وهما يريان بأعينهما المباشرة
شفاء الأرض الحقيقي الذي عجزت عنه
ثلاثة قرون كاملة من العداوة والحذر
المتراكم.

"كنا نخشى تكرار خطأ الماضي" قال لورد
نوكتارا بصوت مرتجف من التأثير العميق
والندم الصادق، "فلم ندرك أننا كنا فعلياً
نمنع الحل الوحيد الذي كانت الأرض
تنتظره بصبر طوال هذه القرون."
اقترب لورد إيزيلوم ببطء من حمزة،
متجاوزاً عداوة عائلية عمرها قرون في
خطوات قليلة، ووضع يده على كتفه في
إشارة مصالحة تاريخية عميقة الدلالة:
"سامحنا يا بُنيّ، على كل هذه القرون من
الخوف الذي كاد يفرّق حباً كان مقدّراً له
منذ البداية أن يشفيها جميعاً، لا أن يدمرنا."

التفت حمزة إلى حفصة أمام الجميع، وأمام
عائليهما المتصالحتين حديثاً، وأمام
الجيشين اللذين تحولاً من عدوين متأهبين
للقتال إلى شهود على معجزة حقيقية: "أمام
عائليتنا، وأمام الأرض التي شفاها حبنا
للتو، أعدك يا حفصة أن أكون الظل الذي
يحميك دائماً، لا الذي يخيفك أبداً."
ردّت حفصة بدموع فرح غزيرة لم تستطع
كبحها، وابتسامة أشرق بها وجهها بالكامل:
"وأنا أعدك يا حمزة أن أكون الضياء الذي
يدفئ سكونك إلى الأبد، لا الذي يزعجه أو
يقلقه."

● الفصل الخامس عشر: تتويج سطوة الحب

في احتفال ضخم أُقيم بعد أسابيع قليلة على الجسر البلوري الذي يصل بين الجزيرتين، ذلك الجسر الذي أُعيد بناؤه بالكامل بضوء جديد يحمل مزيجاً متناغماً من الظل والضياء معاً، أعلنت العائلتان رسمياً وعلناً نهاية العداوة التي دامت ثلاثة قرون كاملة من الألم والفراق غير المبرر. حضر الاحتفال سكان الجزيرتين بأكملهم، فرحين بنهاية عصر كامل من الخوف المتوارث، ومتحمسين لبداية عصر جديد من الوحدة والازدهار المشترك. وقف حمزة أمام الجميع، ممسكاً بيد حفصة بثقة كاملة لا تشوبها أي شائبة تردد، والهالة الذهبية تحيط بهما بهدوء جميل كأنها ترقص فرحاً احتفالاً بهذه اللحظة التاريخية: "لطالما ظننت أن سطوتي هي الظل الذي

يخفيني عن العالم ويحميني من الألم، حتى
عرفتكِ يا حفصة، فأدركت حينها أنها في
الحقيقة كانت تنتظر طوال هذه السنوات
ضياءً يكملها ويمناها معنى حقيقياً."

ابتسمت حفصة ابتسامة مشرقة تنافس ضوء
الشمس نفسها، والزهور تتفتح حولها بكثافة
غير معتادة في كل اتجاه احتفالاً بسعادتها
الطاغية: "وأنا ظننت طويلاً أن ضيائي
يكفي وحده لإحياء كل شيء من حولي،
حتى علّمتني أنت يا حمزة أن أعرق أشكال
الحياة الحقيقية تحتاج دائماً إلى ظل هادئ
يمنحها العمق والمعنى الذي تفتقده."

اقترب منها أكثر، وهمس بابتسامة مليئة
بالحب الصادق أمام أعين الجميع: "إذن،
هل تقبلين يا حفصة أن يبقى ظلي إلى
جانب ضيائك، إلى الأبد، بلا خوف من
الماضي ولا قلق من المستقبل؟"

أجابت وعيناها تلمعان بالدموع والفرح معاً:
"قبلت منذ اللحظة الأولى التي اصطدمت
فيها كتبك بحقيبتني عند تلك الشجرة العملاقة
يا حمزة... لم أكن أعرف وقتها أن تلك
اللحظة العابرة البسيطة ستكون بداية كل
شيء عظيم في حياتي."
اتحدثت الجزيرتان رسمياً وعلناً في ذلك
اليوم التاريخي، وبدأت أرض إيريوم
بأكملها عصراً جديداً كاملاً من الازدهار
غير المسبوق، عصراً لم تعرف فيه
العواصف الظلامية طريقها للعودة مجدداً،
وظلت حدائق آل إيزييوم تزهر بجمالها
المعتاد على مدار العام كاملاً، بينما
أصبحت قلعة آل نوكتارا الصارمة مفتوحة
الأبواب على مصراعيها لأول مرة منذ
قرون طويلة، مستقبلة الزوار من الجزيرة
الجنوبية بحفاوة لم تعدها من قبل.

● لفصل السادس عشر: حياة جديدة

مرت الأشهر بسرعة بعد ذلك الاحتفال التاريخي، وبدأ حمزة وحفصة بينان معاً حياة مشتركة جديدة، تجمع بين قلعة الظل الصارمة وقصر الضياء المشرق، منشئين في منتصف المسافة بينهما، عند نقطة التقاء الجزيرتين بالضبط، منزلاً جديداً خاصاً بهما، يجمع بطريقة معمارية فريدة بين حجر الظل الأسود اللامع وحجر الضياء الأبيض المشرق، رمزاً دائماً لاتحادهما الفريد.

أصبح حمزة، بمساعدة حفصة الدائمة، أكثر انفتاحاً على مشاعره، وتعلم أن يبتسم بصدق أمام الجميع لا أمامها فقط، وتحول ذلك الشاب الصامت الغامض إلى قائد حكيم يجمع بين هدوئه الأصيل ودفء جديد اكتسبه من قرب الدائم منها.

أما حفصة، فقد أصبحت، بمساعدة حمزة
المستمرة، أكثر عمقاً في تفكيرها، وتعلمت
أن تمزج بين مرحها الفطري الجميل
وحكمة جديدة اكتسبتها من هدوئه المعدي،
لتصبح أميرة تجمع بين قلب الطفلة المرحّة
وعقل الحكمة الناضجة في آن واحد.
في إحدى الأمسيات الهادئة، بعد مرور عام
كامل تقريباً على ذلك اللقاء الأول
المصادف عند الشجرة العملاقة، جلسا معاً
في حديقتهما الخاصة الجديدة، تلك الحديقة
التي جمعت بين نباتات الظل النادرة
وأزهار الضياء المتنوعة في تناغم بصري
ساحر لم يُشاهد من قبل في تاريخ إيريلوم
بأكمله.

قال حمزة وهو يراقب غروب الشمس
الملون: "أتعلمين يا حفصة، حين اصطدمت
كتبي بحقيبتك في ذلك اليوم البعيد، لم أكن
أعرف أن تلك اللحظة العابرة البسيطة

ستغيّر مسار حياتي بالكامل، بل ومسار
أرض إيريلوم كلها معي."
ضحكت حفصة ضحكاتها المعهودة
الممزوجة بالمرح الأصيل الذي لم يتغير
رغم كل ما مرا به: "وأنا لم أكن أعرف
يومها أنني سأقع في حب شاب هادئ يحمل
خلف عينيه عالماً كاملاً من الأسرار، عالماً
تحول لاحقاً إلى أجمل شراكة عرفتتها
حياتي."

نظر إليها بامتنان عميق لا يوصف: "عالم
لم يعد سراً الآن يا حفصة، بفضلك أنتِ
وحدك، أنتِ التي منحتني الشجاعة لأفتح
كل الأبواب المغلقة داخلي."

خاتمة :

هكذا أثبتت سطوة الحب أنها أقوى بكثير
من أي لعنة قديمة توارثتها الأجيال، وأعمق
بكثير من أي خلاف عائلي مهما طال أمده
عبر القرون. جمعت هذه القصة بين الظل
والضياء، بين الهدوء والمرح، بين حمزة
وحفصة، لتصنع من قصتهما أسطورة
جديدة ستُروى في أرض إيريلوم إلى الأبد،
جيلاً بعد جيل: أسطورة تقول إن الحب
الصادق، حين يلتقي برضا القلبين الكاملين،
قادر أن يشفي أعمق الجروح التي خلفها
الزمن، ويهزم أعتى اللعنات مهما بدت
مستعصية، ويكتب فصلاً جديداً بالكامل من
النور والدفء في كتاب الزمن الطويل،
فصلاً سيبقى مضيئاً ما دامت الشمس تشرق
فوق الجزر الطائرة، وما دام القمران
يكتملان فوق أرض إيريلوم الخالدة.

نهاية

—